خطبة صلاة الجمعة 30/10/2020 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في العلاقات الأسرية)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: 7].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: 31].

وَقالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:52].

أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: «كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب يقول: **«أما بعدُ، فإن خيرَ الحديث كتابُ الله، وخيرُ الهدْي هدْيُ محمد، وشرُّ الأمورِ مُحْدَثاتُها، وكلُّ بدْعةٍ ضلالة»**.

قال النووي في شرح مسلم: (قوله "خير الهدي هدي محمد" جاءت الرواية بوجهين الأول: بفتح الهاء وإسكان الدال، ومعناه الطريقة أي أحسن الطرق طريق محمد، يقال فلان حسن الهدي أي الطريقة والمذهب، والثاني: بضم الهاء وفتح الدال فيهما، ومعناه الدلالة والإرشاد).

وأخرج البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «إنَّ أحسنَ الحديثِ كِتَابُ اللهِ، وأحسنُ الهَدْيِ هَدْيُ محمَّدٍ – صلى الله عليه وسلم –، وشَرُّ الأمُورِ مُحْدَثاتُها، وإنَّ ما تُوعدونَ لآتٍ، وما أنتُم بمعجزين».

قال ابن منظور: فُلَانٌ حَسَنُ الهَدْيِ هُوَ حُسْنُ الْمَذْهَبِ فِي أُموره كُلِّهَا، وأحسن الهدي هدي محمد أَي أَحسَنُ الطريقِ والهِداية وَالطَّرِيقَةِ وَالنَّحْوِ وَالْهَيْئَةِ، هدي رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم.

أيها الإخوة:

هذه هي الخطبة الثالثة في سلسلةِ خطب عنوانُها: (**هَدْيُ رسول الله صلى الله عليه وسلم**).

جاءت السلسلة في شهر ربيع لنكثر من الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولنهتدي بهديه ونتأسى بسنته فننالَ الحظوة بشفاعته صلوات ربي وسلامه عليه.

واعلموا أن الكمال البشري معقود في رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن اهتدى بهديه واستن بسنته وحذى حذوه صلى الله عليه وسلم سار في درب الكمال، وعكسه بعكسه.

تحدثت الخطبة الأولى عن هديه صلى الله عليه وسلم في العبادات الشعائرية وتحدثت الخطبة الثانية عن هديه صلى الله عليه وسلم في المعاملات المالية.

وعنوان خطبة اليوم: **هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في العلاقات الأسرية.**

تعلمون أيها الإخوة أن الله تعالى خَصَّ نبيَّنا محمداً صلى الله عليه وسلم بأن أباح له من الزواج بالنساء ما لم يُبِحْ لغيره، ورُزِقَ صلى الله عليه وسلم سبعةَ أولاد وسبعة أسباط، مات أولاده جميعاً في حياته صلى الله عليه وسلم ما عدا السيدة فاطمة ماتت بعد أبيها بستة أشهر.

وإن المرء ليعجب كيف وفَّق سيدُنا محمد صلى الله عليه وسلم بين هذا العدد من الأزواج والأولاد والأسباط، وبين قيامه بأعمال الرسالة، والواحد منا تكون عنده الزوجةُ الواحدة، والعدد القليل من الأولاد, ومع هذا يكون في شُغْلٍ شاغل، وفي حَيْرَةٍ للتوفيق بين زوجته وولده، وبين القيام بواجبات عمله ومسجده على وجه مرضِيّ.

وإليكم بعضَ المعالم في هديه صلى الله عليه وسلم في العلاقات الأسرية لنستن بسنته ونهتدي بهديه صلى الله عليه وسلم:

أولا: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب زوجته وأولاده:

فقد أخرج الشيخان عن عمرو بن العاص أنه سأل رسولَ الله ﷺ فقال له: يا رسول الله! مَنْ أحبُّ الناس إليك؟ فقال ﷺ «**عائشة**»، قال عمرو بن العاص: فمن الرجال يا رسول الله؟ فقال له ﷺ: «**أبوها**» يعني أبا بكر.

وروى الترمذي عن أسامة أن نبي الله ﷺ قال: «أحَبُّ أهلي ـ يعني أولادَه ـ إليَّ: فاطمةُ». وروى البخاري بأن رسول الله ﷺ كان يقبّلُ الحسنَ والحسين، ويشمُّهما، ويقول: «هما ريحانتاي من الدنيا».

وروى الإمام مسلم في صحيحه، عن أنس بن مالك، قال: ما رأيت أحداً كان أرحم بالعيال مِنْ رسول الله ﷺ، قال: كان ولدُه إبراهيم مسترضعاً له في عوالي المدينة، فكان ينطلق- ونحن معه-، فيدخُل البيتَ، وإنه ليدخَن ـ أي يعلو منه الدخان ـ وكان ظئرُه قيّناً ـ حداداً ـ فيأخذُه [أي: يأخذ النبيُّ ﷺ ابنَه إبراهيم المسترضع] فيقبّلُه، ثم يرجع، فلما مات ولدُه إبراهيم وكان له من العمر ستة عشر شهراً جعلَتْ عينا رسول الله ﷺ تذرفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف: وأنتَ يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «يا ابنَ عوف! إنها رحمة، إن العينَ تدمع، والقلبَ يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا لِفِرَاقِكَ- يا إبراهيمُ – لمحزونون».

فالحاصل أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب أسرته ويرحمها وهذا من هديه في علاقاته الأسرية.

ثانياً: كان صلى الله عليه وسلم يحترم زوجته وأولاده:

فمن احترامه صلى الله عليه وسلم أنه كان يستشيرهن، وينزل عند الصواب من رأيهن، كما فعل ﷺ في مشورته لأم سلمة رضي الله عنها في صلح الحديبية، وما شتم صلى الله عليه وسلم امرأة قط ولا ضربها وكان يقول: «ما أكرم النساء إلا كريم، وما أهانَهُن إلا لئيم» (ابن عساكر في تاريخه).

وتروي السيدة عائشة رضي الله عنها، واصفة احترام النبي صلى الله عليه وسلم لأولاده ومحبته لهم تقول: ما رأيتُ أحداً أشبه سمتاً، ودلاً، وهدياً، وحديثاً برسول الله ﷺ، في قيامه وقعوده من فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وكانت فاطمةُ رضي الله عنها إذا دخلت على رسول الله ﷺ قام إليها، فقبَّلها، وأجلسها في مجلسه، وكان النبيُّ ﷺ إذا دخل عليها قامت له، فقبلته، وأجلَسته في مجلسها. [أبو داود والترمذي].

ويقول: «فاطمةُ بَضْعة مني يؤذيني ما آذاها، ويُنْصِبُني ما أنصبَها» [أخرجه الترمذي]

فاحترام النبي صلى الله عليه وسلم لأفراد أسرته واحد من هديه صلى الله عليه وسلم في العلاقات الأسرية.

ثالثاً: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم زوجته وأولاده:

وهذا أمر مشهور كثير مستفيض، وما علّم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً الناس إلا أشرك فيه أهله، ولا اختص شيئاً بأهله إلا علّمه الناس، وأذكر من تعليمه صلى الله عليه وسلم لأهله ما أخرجه

الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أخذ الحسن بن علي تمرة من تمر الصدقة، فجعلها في فيه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**كخ كخ، ارم بها، أما علمت أنا لا نأكل الصدقة؟**»

وفي نوادر الأصول: (دخل رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فرَأى فِي الْبَيْت كسيرة ملقاة فَمشى إِلَيْهَا فرَفعهَا ومسحها وَقَالَ يَا عَائِشَة أحسني مجاورة نعم الله فَقل مَا نفرت عَن قوم فَكَادَتْ ترجع إِلَيْهِم).

واسْتَيْقَظَ رسول الله صلى الله عليهم وسلم ليلة فَزِعاً، وهو يقول: لا إله إلا الله، ماذا أُنزل الليلةَ من الفتنة؟ ماذا فُتح من الخزائن؟ مَن يُوقِظُ صواحبَ الحُجُرات- يريد: أزواجَه - فيُصلِّين؟ رُبَّ كاسية في الدنيا عارية في الآخرة»

قال ابن حجر عند شرحه الحديث (وإنما خصهن بالإيقاظ لأنهن الحاضرات حينئذ أو من باب ابدأ بنفسك ثم بمن تعول).

فمن أراد أن يهتدي بهديه صلى الله عليه وسلم في العلاقات الأسرية فليعلّم أهله وليتابع تربيتهم ولا يتركهم للشيطان.

رابعاً: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلطف بزوجته وأولاده:

فيرحمهم ويمازحهم ويحلم عنهم. أتى عليهن وسواق يسوق بهن يسمى أنجشة، وكان يحدو للإبل فتنشط وتسرع بالسير، فربما يؤلمهن ويتعبهن، فقال له: «**ويحك يا أنجشة، رويدك، سوقك بالقوارير**» [البخاري].

وكان النبي يخطب ذات يوم على المنبر فجاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران، يمشيان ويتعثران، فنزل النبي فحملهما ووضعهما بين يديه. [أبو داود والترمذي].

وروي عن عبد الله بن الزبير أنه رأى الحسن بن علي يجيء والنبي ساجد فيركب رقبته، أو قال ظهره، فما ينزله حتى يكون هو الذي ينزل. (الغيلانيات).

وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره، فإذا أرادوا أن يمنعوهما أشار إليهم: أن دعوهما. [أحمد].

فهل رأيت في باب التلطف والعطف والشفقة أسمح من هذا؟!.

إنه هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في العلاقات الأسرية.

خامساً: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبر والديه ويصل رحمه:

أتى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قبر أُمِّه، فبكى، وأبكى من حوله [أبو داود]، وزارته حليمة السعدية أمه التي أرضعته فبسَطَ لها ردَاءَه، فَجَلَسَت عليه، وجعل يقول: مرحبا بأمي. [أبو داود].

وأخرج أبو داود عن عمر بن السائب بَلَغَهُ أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان جالساً يوماً، فأقبل أبوه من الرَّضاعة، فوضع له بعضَ ثَوْبِهِ، فقعد عليه، ثم أقبلت أمُّه من الرَّضاعة، فوضع لها شِقَّ ثوبه من جانبه الآخر، فجلَسَتْ عليه، ثم أقبل أخوه من الرضاعة، فقام النبي صلى الله عليه وسلم، فأجْلَسَهُ بَيْنَ يَدَيْه، وبكى صلى الله عليه وسلم لموت عمه حمزة أشد البكاء وصلى عليه مرارا، واعتنى بسيدنا علي رضي الله عنه إكراماً لعمه أبي طالب، وأقبل سيدنا سعد بن أبي وقاص، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**هذا خالي فليرني امرؤ خاله**» [الترمذي]، وكان سعد من بني زهرة، وكانت أم النبي صلى الله عليه وسلم من بني زهرة.

وهكذا نجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يبر والديه ويصل رحمه ويُرَغِّب بذلك كثيراً ويحذر من القطيعة يقول: «**الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله**» [مسلم].

فهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في العلاقات الأسرية البر والصلة.

وبعد أيها الإخوة:

هذه خمسة في هدي النبي صلى الله عليه وسلم في العلاقات الأسرية.

أولا: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب زوجته وأولاده.

ثانياً: كان صلى الله عليه وسلم يحترم زوجته وأولاده.

ثالثاً: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم زوجته وأولاده.

رابعاً: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلطف بزوجته وأولاده.

خامساً: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبر والديه ويصل رحمه.

فليجتهد كل منا في بر والديه وصلة أرحامه وليتلطف بأهله وأولاده وليجعل من الاحترام رابطاً بينهم وليعلم زوجه وبنيه متحبباً لهم ومتوداً. وليجعل رائده في ذلك كله حسنَ المعاشرة وحسنَ الخلق. فخيركم خيركم لأهله.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 56].

والحمد لله رب العالمين